﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَمَا لَيۡسَ لَهُم بِهِۦ عِلۡمٞۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٖ ٧١﴾ [الحج: 71]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

المشركون مصرّون على الباطل والعصيان، فاستحقّوا العذاب والحرمان

لمّا أمر الله تعالى رسوله ﷺ ألّا يدع للمشركين فرصة لمنازعته في منهجه المستقيم، وأنَّه سيفصل بين المؤمنين والكافرين يوم القيامة بحكمه الفصل العدل، وأعلمه بالجواب الذي يردُّ به عليهم؛ حيث إنَّهم كثيرو الجدال والتشكيك، وأخبر أنَّه سبحانه هو مَن أحاط بكلِّ شيءٍ علمًا؛ كشف سبحانه عمّا في منهج المشركين من إصرار على الباطل، وتمادٍ في الفسوق والعصيان؛ فاستحقّوا الحرمان من عونه سبحانه ونصرته؛ ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكۡرِمٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ ١٨﴾ [الحج: 18][1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿سُلۡطَٰنٗا﴾: (سلط) أصلٌ يدلُّ على القوَّة والقهر[2]، والسَّلاطة: التَّمكُّن من القهر، يقال: سلَّطه الله فتسلَّط، والاسم من ذلك السُّلْطة[3]، ومنه سُمّي السُّلطان وهو الوالي؛ لأنَّه الذي تقام به الحجَّة والبرهان، والسُّلطان يقال في السَّلاطة التي هي قدرة المُلْك والقهر.

نحو قوله تعالى: ﴿فَقَدۡ جَعَلۡنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلۡطَٰنٗا﴾ [الإسراء: 33]، وقد يقال لذي السَّلاطة الذي هو الوالي، وهو الأكثر[4].

وسُمّي البرهان والحجَّة سلطانًا؛ لأنَّه ممّا يهجم على القلوب، وإن كان أكثرُ تسلُّطِه على أهل العلم والحكمة من المؤمنين[5].

(1) المراغي، تفسير القرآن: 17/ 141، والهرري، حدائق الروح والريحان: 18/ 400.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (سلط).
(3) الجوهري، الصحاح، والرّاغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب: (سلط).
(4) الراغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب: (سلط).
(5) الجوهري، الصحاح، والرّاغب، المفردات: (سلط).

والسُّلطان في قوله تعالى: ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا﴾؛ أي: حُجَّة وبرهان[1].

2) ﴿نَّصِيرٖ﴾: (نصر) أصلٌ يدلُّ على الإمداد بما فيه زيادة وقوَّة وإتيان الخير وإيتائه للغير[2]، إعانة المظلوم، والمَنَعَة له من الظّالم[3]. "وفي الحديث: "انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا"، وتفسيره: أن يمنعه من الظُّلم إن وجده ظالمًا، وإن كان مظلومًا أعانه على ظالمه"[4].

ونصرةُ الله للعبد إعانتُه، ونصرةُ العبد لله هو إعانته لعبادِه وأنبيائه، والقيام بحفظ دينه وحدوده[5]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٖ﴾؛ أي: ليس للمشركين من معاون يقرِّر مذهبهم، ولا مانع يدفع عنهم عذاب الله ويمنعهم منه[6].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

عـبـادة الأوثـان عاقبة وخسران، وعبادة الرَّحمن فوز ورضوان

وبَّخ الله تعالى هؤلاء المشركين الَّذين اتَّخذوا من دونه سبحانه آلهةً يعبدونها من غير حجَّة أو برهان فقال: ويعبد هؤلاء المشركون مِنْ دون الله مِنَ الأوثان والأصنام ما لم ينزِّل به حجَّة أو برهانًا لعبادتها من دونه، وما ليس لديهم عليه دليل عقليٌّ أو نقليٌّ، وما للمشركين من ناصر يقرِّر مذهبهم واعتقادهم، أو مانع يمنعهم من عذاب الله إذا نزل بهم[7].

(1) البغوي، معالم التنزيل: 5/ 399، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 12/ 95.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة، ومحمّد جبل، المعجم الاشتقاقي: (نصر).
(3) الخليل، العين، والأزهري، تهذيب اللغة، وابن فارس، المجمل، والراغب، المفردات، والسمين الحلبي، عمدة الحفاظ، وابن منظور، لسان العرب: (نصر).
(4) الخليل، العين، والأزهري، تهذيب اللغة، وابن منظور، لسان العرب: (نصر)، والحديث أخرجه البخاري، برقم: (2443).
(5) الراغب، المفردات، والسمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (نصر).
(6) البغوي، معالم التنزيل: 5/ 399، والبيضاوي، أنوار التنزيل: 4/ 7.
(7) ابن جرير، جامع البيان: 16/ 631.

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

معنى الواو:

يجوز أن يكون الواو في قوله تعالى: ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ حرف عطف، وتكون الجملة معطوفةً على الجملة السّابقة بما تفرَّع عليها عطفَ غرض على غرض، ويجوز أن يكون الواو للحال من الضَّمير المرفوع في قوله تعالى: ﴿وَإِن جَٰدَلُوكَ﴾؛ أي: جادلوك في الدّين حالَ كونهم مستمرّين على عبادة ما لا يستحقُّ العبادة، وتتضمَّن جملة الحال تعجيبًا من شأنهم في مكابرتهم وإصرارهم[1].

أصرَّ المجادلون على الكفر بالله العليّ، ومعاندة الحقِّ الجليّ، ومعارضة النَّبيّ ﷺ

ويَحْتَمِلُ أن تكون الواو استئنافيَّة، وتكون الجملة بعدها مستأنَفَة[2]، ومسوقة لبيان صورة جديدة من صور معاندة القوم للحقِّ الجليِّ، ومعارضتهم لدعوة النَّبيِّ ﷺ، وإصرارهم على الكفر وعبادة كلِّ شيء إلّا الله الواحد العليّ.

نكتة التّعبير بالفعل المضارع ﴿وَيَعۡبُدُونَ﴾:

جاء فعل العبادة مضارعًا في قوله تعالى: ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ لإفادة التَّجدُّد والاستمرار، فإنَّ الدَّلائل التي تحيط بهم على بطلان عبادة ما يعبدون من دون الله، والدَّلائل على استحقاق الله ﷻ وحده العبادةَ، كافيةٌ في حملهم على الإقلاع عن عبادة الأصنام لو كانوا يريدون الحقَّ، فالإتيان بالفعل المضارع الدّالِّ على التَّجدُّد فيه إشارة إلى إصرارهم على الباطل، وعدم إرادتهم الحقَّ مع وضوح البراهين[3].

في المضارعة معنى التَّجدُّد والاستمرار، وإصرارهم على الكفر بالواحد القهّار

عَوْدُ الضَّمير في قوله تعالى: ﴿وَيَعۡبُدُونَ﴾:

الضَّمير في قوله تعالى: ﴿وَيَعۡبُدُونَ﴾ يراد به المشركون الذين

الكافرون عن رحمة الله مُبعَدون، وفي النّار هم خالدون

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 17/ 332.
(2) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 6/ 479، وبهجت صالح، الإعراب المفصل: 7/ 350، ومحمود صافي، الجدول: 9/ 146، والدرة، تفسير القرآن وإعرابه: 6/ 206.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 17/ 333.

يعبدون آلهة دون الله، ولم يكن للمشركين ذِكرٌ هنا حتَّى يعود هذا الضَّمير إليهم، فالحديث عنهم بضمير الغَيْبَةِ إبعادٌ لهم، وإنكار لوجودهم في مجتمع العقلاء الذين هم أهل للخطاب[1].

معنى ﴿مِن﴾:

أصـرَّ الـكـفّـار عـلـى الـتَّـبـاعـد عـن جناب الله الأجـلّ، والكفر بـكـلِّ مـا شـرع ونزَّل

الأصل في معنى (مِن) أنَّه حرف موضوع للدَّلالة على ابتداء الغاية، زمانيَّة كانت أم مكانيَّة[2].

و﴿مِن﴾ في قوله تعالى: ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ دالٌّ على هذا المعنى، فالمراد أنَّهم جعلوا ابتداء فعل العبادة مِن جانبٍ مُباعِد لله ﷻ، وهذا الجانب هو جانب عبادة الأصنام[3].

وفيه تصوير لمدى نفورهم وإعراضهم عن كلِّ ما يتعلَّق بعبادة الله تعالى، فليس يهمُّهم ما يعبدون، بل أن يكون هذا المعبود أيَّ شيء إلّا الله سبحانه وبحمده! قاتلهم الله أنَّى يؤفَكون!

فائدة التركيب ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾:

أُشرِب الكافرون في قـلـوبـهـم الأصـنـام، فـأعـرضـوا عـن عبادة ربِّ الأنام

كلمة ﴿دُونِ﴾ تدلُّ على معانٍ تدور حول التَّحقير، والقِلَّة، والتَّقصير عن الغاية، والدُّنوِّ، والغيريَّة[4].

فدخولها على لفظ الجلالة في قوله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ دلَّ على أنَّهم يُعرِضون عن عبادة الله، بما فيها من دلالة على معنى المباعَدَة، لكنَّ المباعَدَة المستفادَة منها قد تصدق بالمشارَكة بين ما تضاف إليه وبين غيره، فإذا دخل عليها حرف الجرِّ ﴿مِن﴾ أفادت معنى ابتداء الفعل من جانبٍ مُباعِدٍ لِما أُضيف إليه ﴿دُونِ﴾.

فلزم من ذلك أنَّ المضاف إليه الذي هو لفظ الجلال ﴿ٱللَّهِ﴾

(1) عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآن: 9/ 1096.

(2) الزمخشري، المفصل، ص: 379، وابن يعيش، شرح المفصل: 4/ 459، والسامرائي، معاني النحو: 3/ 75.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 17/ 333.

(4) الراغب، المفردات، والزبيدي، التاج، وحسن الجمل، معجم وتفسير لغوي لكلمات القرآن، ومحمد جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصّل: (دون).

غير مشارِك في الفعل الذي هو العبادة، فدلَّ ذلك على أنَّهم يعبدون الأصنام وحدَها ولا يعبدون اللّهَ معها، ووجه ذلك أنَّهم لمّا أُشرِبوا في قلوبهم عبادةَ الأصنام والعكوف عليها، صاروا كالمعطِّلين لعبادة الله أصلًا[1].

فقوله تعالى: ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: مِن أدنى رتبة من رتب الذي قامت جميع الدَّلائل على احتوائه على جميع صفات الكمال، وتنزُّهِه عن شوائب النَّقص[2].

الموقع النّحويّ لـ: ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾:

يرتضي الكافرون كلَّ معبود إلّا الله العظيم، فلا جرم أنَّ لهم عذاب الجحيم

قوله تعالى: ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ جارٌّ ومجرور متعلِّق بـ﴿وَيَعۡبُدُونَ﴾ في محلِّ نصب حالٍ من الاسم الموصول ﴿مَا﴾؛ أي: يعبدون الأصنام التي لم يُنَزِّل الله تعالى بها سلطانًا حال كونها من دون الله[3]، فكأنَّهم ما عبدوها إلّا لأنَّها من دون الله؛ أي أنَّهم يرتضون كلَّ معبود إلّا الله سبحانه!

معنى ﴿مَا﴾:

عبد الكافرون ما لا يعقل ولا يسمع لهم دعاء، وتركوا الخالق القدير ذا الآلاء

﴿مَا﴾ اسم موصول بمعنى (الذي)، غير أنَّه أعمُّ من (الذي) وأشمل، فيقع على ذوات ما لا يعقل، وعلى صفات مَن يعقل[4].

وهو في قوله تعالى: ﴿مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا﴾ مقصود به الأصنام التي كانوا يعبدونها[5]، وفي التَّعبير بـ﴿مَا﴾ التي هي لغير العاقل تعريض بالكافرين وتشنيع لفعلهم، فقد آثروا الميت على الحيِّ الذي لا يموت، واختاروا ما لا يخلق شيئًا على الخالق لكلِّ شيء، وعبدوا ما لا يضرُّ ولا ينفع، ولا يغني ولا يشفع، ولا يبصر

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 17/ 333.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 13/ 92.
(3) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 6/ 479، ومحمود صافي، الجدول: 9/ 146، وبهجت صالح، الإعراب المفصل: 7/ 350.
(4) السامرائي، معاني النحو: 1/ 130.
(5) البروسوي، روح البيان: 6/ 59.

ولا يسمع، وتركوا عبادة الله السَّميع البصير، فخسروا الخسران المبين، وضلّوا الضَّلال الكبير.

التَّعبير بالموصول وصلته في: ﴿مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا﴾:

أوثر التَّعبير بالموصول ﴿مَا﴾ وصلته في قوله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا﴾ دون (ويعبدون من دون الله أصنامًا)؛ لأنَّ المقصود ليس تعيين ما يعبدون، بل للتَّشنيع عليهم أنَّهم عبدوا شيئًا لا يعقل، وليس عندهم به برهان من وحي أو علم، فقد أدَّت الآية المعنيين؛ **أوّلهما**: أنَّ المعبود أصنامٌ لا تعقل، وهو مستفاد من دلالة ﴿مَا﴾، **وثانيهما:** أنَّ هذه العبادة مفتراة، وليس عندهم بها سلطان من الله، فليس يصحُّ قولهم إنَّها تقرِّبهم إلى الله زلفى، أو أنَّ الله تعالى أمرهم بها، بل إنَّما اتَّبعوا أهواءهم.

كلُّ عبادة مِن دون الله مفتراة، ليس عند مَن اختلقها سلطان مِن الله

فمعنى قوله تعالى: ﴿مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا﴾؛ أي: أصنامًا وأوثانًا لم ينزِّل سبحانه على استحقاقهم للعبادة برهانًا وتبيانًا ليكون حجَّة دالَّة على مدَّعاهم[1].

توجيه القراءات القرآنيّة المتواترة في قوله تعالى: ﴿يُنَزِّلْ﴾ وبلاغتها:

قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب: ﴿يُنزِلْ﴾ بإسكان النّون وتخفيف الزّاي، وقرأ الباقون: ﴿يُنَزِّلْ﴾ بفتح النّون وتشديد الزّاي[2].

ما كان للرَّحمن أن ينزِل بعبادة الأوثان من برهان أو سلطان

والفرق بين الإنزال والتَّنزيل أنَّ الإنزال يستعمل في الدَّفعة، والتَّنزيل يستعمل في التَّدريج[3].

فقد نَفَتِ القراءتان كلَّ نزول بسلطان يؤيِّد عبادة الكافرين لأصنامهم وأهوائهم، سواء كان جملة أم منجَّمًا.

(1) النخجواني، الفواتح الإلهية: 1/ 561.
(2) ابن الجزري، النشر: 2/ 218.
(3) الجرجاني، التعريفات، ص: 68، والراغب، المفردات: (نزل).

فائدة التّعبير بقوله تعالى: ﴿يُنَزِّلْ﴾:

النُّزول في الأصل هو انحطاطٌ من عُلوٍّ، ومادَّته تدلُّ على الانحدار والهبوط[1].

الله العليّ الأعلى هو مصدر التّشريع المأمون، والنّاس بالاتّباع مأمورون

وقوله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا﴾ يدلُّ على أنَّ العبادة - وهي: طاعةُ أمرٍ واجتنابُ نَهْيٍ - يجب أن تكون صادرة من الأعلى: الأعلى من النّاس جميعًا، وهو الله ربُّ العالمين، فليس لأحد من النّاس أن يبتدع شرعًا بغير سلطان من الله، وليس لأحد منهم أن يشرِّع للآخر فيأمره أو ينهاه؛ لأنَّ الأمر من المُساوي لا مرجِّح له، فللمأمور أن يقول لآمره: لماذا تأمرني بطاعتك إذا كنتُ في مثل درجتك؟ أمّا إن صدر الأمر من الأعلى فعلى الأدنى أن يطيع بلا اعتراض[2].

معنى الباء في قوله تعالى: ﴿بِهِۦ﴾:

عبد المشركون أصنامهم بلا دليل، فاستحقّوا التّعذيب والتّنكيل

الأصل في معنى (الباء) أنَّه موضوع للدَّلالة على الإلصاق، حقيقيًّا كان أم مجازيًّا[3]، وهذا هو معناه في قوله تعالى: ﴿مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا﴾، والإلصاق فيه مجازيٌّ، كما يقال: بخل به؛ أي: التصق به البخل، وتعلَّق به تعلُّقًا معنويًّا.

نكتة تقديم شبه الجملة ﴿بِهِۦ﴾:

في التّقديم اهتمام وتأكيد، وتشنيع على الكفّار وتنديد

أوثِرَ تقديمُ شبه الجملة ﴿بِهِۦ﴾ في قوله تعالى: ﴿مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا﴾ لإفادة الاهتمام به، والتّأكيد على أنَّ هذه الأصنام المعبودة من دون الله تعالى لا دليل لهم بها ولا حُجَّة على استحقاقها العبادة، وفيه تقريع وتشنيع عليهم.

(1) ابن فارس، المقاييس، والراغب، المفردات، ومحمد جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصّل: (نزل).
(2) الشعراوي، تفسير الشعراوي: 16/ 9926.
(3) الزمخشري، المفصل، ص: 381، وابن يعيش، شرح المفصل: 4/ 474، والسامرائي، معاني النحو: 3/ 19.

نكتة تنكير ﴿سُلْطَانًا﴾:

في التَّنكير معنى التَّقليل، وإبعاد للباطل عن قدسيَّة التَّنزيل

أوثِرَ الإتيان بكلمة ﴿سُلْطَانًا﴾ نكرة في قوله تعالى: ﴿مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَانًا﴾؛ لإفادة التَّقليل؛ أي: إنَّهم ليس لهم حجَّة على استحقاقِ هذه الأصنامِ العبادةَ.

ولو كانت هذه الحجَّة قليلة، وفي ذلك مزيد بيان لضعف ما ذهبوا إليه وبطلانه[1].

فائدة العطف في: ﴿وَمَا لَيْسَ لَهُم﴾:

ليس مع الكفّار على دينهم دليل من السَّمع الصَّحيح، ولا العقل الصَّريح

عُطِف قولُه تعالى: ﴿وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِۦ عِلْمٌ﴾ على قوله تعالى: ﴿مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَانًا﴾؛ للتَّنبيه على أنَّهم ليس لهم دليلٌ من السَّمع ولا دليلٌ من العقل؛ فإنَّ قوله: ﴿مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَانًا﴾ نفى الحجَّة والدَّليل السَّمعي المُنَزَّل من عند الله سبحانه، وليس في مجرَّد نفي دليل السَّمع ما يلزم عنه نفي دليل العقل؛ إذ قد يكون لهم دليل من العقل على عبادة الأصنام، وإن انتفى دليل السَّمع، فقطع الله عليهم كلَّ سبيل للاحتجاج على صحَّة عبادتهم بنفي دليل العقل أيضًا بقوله ﷻ: ﴿وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِۦ عِلْمٌ﴾؛ أي: دليل عقليٌّ.

وتقديم انتفاء الدَّليل السَّمعيِّ على انتفاء الدَّليل العقليِّ؛ لأنَّ الدَّليل السَّمعيَّ أهمُّ، وهو الأصل، وعليه الاستناد في أكثر العبادات، وقد أُعيد النَّفي للدَّلالة على استقلال كلٍّ منهما في الذَّمِّ[2].

نكتة تنكير ﴿عِلْمٌ﴾:

لا دليل سمعيٌّ للسّاجدين للأوثان، وليس معهم من العقل برهان

أوثِرَ الإتيان بكلمة ﴿عِلْمٌ﴾ نكرةً في قوله تعالى: ﴿وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِۦ عِلْمٌ﴾؛ لإفادة معنى التَّقليل والتَّحقير؛ أي: إنَّهم ليس لهم حجَّة عقليَّة مستنبَطَة على استحقاق هذه الأصنام العبادة، ولو كانت حجَّة قليلة ضعيفة، وفي ذلك مزيدُ بيانٍ لضعفِ ما ذهبوا إليه وبُطلانه.

(1) الآلوسي، روح المعاني: 9/ 189.

(2) الآلوسي، روح المعاني: 9/ 189، وابن عرفة، تفسير القرآن: 3/ 199، والشّهاب الخفاجي، عناية القاضي وكفاية الرّاضي: 6/ 312، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 17/ 333.

فحاصل المعنى أنَّهم لا دليل لهم أصلًا لا من جهة السَّمع، ولا من جهة العقل على عبادتهم أصنامَهم، ومع ذلك يتمسَّكون بهذه العبادة الباطلة[1]!

معنى الواو في: ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ﴾:

لا تنفع الأصنام عُبّادها، بل لا تقدر على نفع نفسها، ولا دفع ما نزل بها

الواو عاطفة[2]، والجملة معطوفة على جملة ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾؛ أي يعبدون ما ذُكر وما لهم نصير، فلا تنفعهم عبادة الأصنام، فالمراد بالظّالمين المشركون المتحدَّث عنهم[3].

ويَحْتَمِلُ أن يكون الواو حرف استئناف[4]، والجملة بعده مستأنَفَة لبيان سوء عاقبة الظّالمين الذين عبدوا مِن دون الله غيره.

معنى ﴿وَمَا﴾:

ليس لهؤلاء الكافرين مِن ناصر أو مُعين

جاءت ﴿وَمَا﴾ في قوله تعالى: ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ نافيةً؛ أي: ليس لهؤلاء المشركين الظّالمين أنفسَهم بعبادتهم غيرَ الله من نصير معاون ودافع عنهم العذاب[5].

و(ما) آكد في النَّفي من (ليس)؛ فإنَّها تقع جوابًا للقَسَم في نحو: (والله ما هو بمنطلق) بخلاف (ليس)، كما أنَّها أوسع استعمالًا منها أيضًا[6].

معنى اللّام في: ﴿لِلظَّٰلِمِينَ﴾:

مَن يدفع عن الظّالمين العذاب؟ وقد كفروا بربِّ الأرباب

الأصل في معنى (اللّام) أنَّه موضوع للدَّلالة على الاختصاص[7]، وهذا هو المقصود في قوله تعالى: ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾؛ أي:

(1) طنطاوي، الوسيط: 9/ 341.
(2) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 6/ 479.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 17/ 333.
(4) محمود صافي، الجدول: 9/ 146، وبهجت صالح، الإعراب المفصل: 7/ 350، والدعاس، إعراب القرآن: 2/ 321.
(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 17/ 333.
(6) السامرائي، معاني النحو: 4/ 191.
(7) الزمخشري، المفصل، ص: 282، وابن يعيش، شرح المفصل: 4/ 479، والسامرائي، معاني النحو: 3/ 64.

ليس للذين ارتكبوا مثلَ هذا الظُّلم العظيم بعبادتهم غيرَ الله شيء يختصّون به أو يستحقّونه مِن أحدٍ ينصرهم، أو يصوِّب مذهبَهم، أو يدفع العذاب عنهم حين يعتريهم بسبب ظُلمِهم[1].

معنى (أل) في قوله تعالى: ﴿لِلظَّٰلِمِينَ﴾:

جاءت (أل) في قوله تعالى: ﴿لِلظَّٰلِمِينَ﴾ لمعنى العهد، فالظّالمون هنا هم المشركون المتحدَّث عنهم سابقًا، المُتَقدِّم ذكرُهم في الآية[2].

نكتة الإظهار في موضع الإضمار في: ﴿لِلظَّٰلِمِينَ﴾:

كفر الظّالمون بالسَّميع البصير، فضلَّ عنهم الشَّفيع والنَّصير

أوثر الإظهار في موضع الإضمار في قوله تعالى: ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ بدلًا من: (وما لهم من نصير)؛ لتسجيل الظُّلم عليهم والحكم به عليهم، مع تعليل حكم انتفاء النُّصرة عنهم به؛ أي: لأنَّكم ظالمون - أي: كافرون - فما لكم من نصير؛ أي أنَّ سبب انتفاء النَّصير لهم هو ظُلمُهم؛ أي: كُفرُهم، وقد أفاد ذلك ذهابَ عبادتِهم الأصنامَ باطلًا لأنَّهم عبدوها رجاءَ النَّصر، ويفيد بعمومه أنَّ الأصنام لا تنصرهم، فأغنى عن موصولٍ ثالثٍ هو من صفات الأصنام كأنَّه قيل: وما لا ينصرهم، كقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَطِيعُونَ نَصۡرَكُمۡ﴾ [الأعراف: 197][3].

نكتة وصف الكافرين بالظّالمين:

الشِّرك ظلم عظيم، وسَفهٌ عقليٌّ ذميم

الظُّلم: وضع الشَّيء في غير موضعه، وهو في الشَّريعة: عبارة عن التَّعدّي عن الحقِّ إلى الباطل، وهو الجَور، وقيل: هو التَّصرُّف في ملك الغير ومجاوزة الحَدِّ[4].

فالمادَّة تدور حول معاني الحَجب - كما في الظُّلمة - ووضع الشَّيء

(1) ابن عجيبة، البحر المديد: 3/ 553.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 17/ 333.
(3) الآلوسي، روح المعاني: 9/ 190، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 17/ 333، 334.
(4) الجرجاني، التعريفات، ص: 144.

في غير مكانه تعدّيًا[1]، فيُعبَّر بها عن الجهل، والشِّرك والفسق، كما يُعبَّر بالنّور عن أضدادها[2].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ هو تهديد لهؤلاء المشركين الذين ظلموا الحقَّ، فلم يطلبوه من كتاب الله، وظلموا أنفسهم فلم يستعملوا حواسَّهم وملكاتِهم في النَّظر لما فيه هدايتهم، فركبوا مراكب الضَّلال والهلاك[3].

فإذا لم يكن عندهم دليل من عند الله أنزله فكان لهم سلطان، ولا عِلم عقليٌّ فإنَّ ذلك يكون ظُلمًا، وإذا كانوا يعبدون ما لا دليل عليه من نقل أو عقل، ويشركون مع خالقهم في العبادة، وهو الواحد الأحد، فإنَّ ذلك لأنفسهم ولقولهم ضلال وفساد[4].

نكتة تقديم شبه الجملة الخبريّة ﴿لِلظَّٰلِمِينَ﴾:

اختصَّ الظّالمون بانتفاء النَّصير؛ لأنَّ جُرمهم بالشِّرك كبير

قُدِّمَت شبهُ الجملة ﴿لِلظَّٰلِمِينَ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ لإفادة الاختصاص؛ أي: ليس لهؤلاء المشركين الظّالمين - خصوصًا دون غيرهم - من نصير ينصرهم ويعينهم ويدفع عنهم العذاب في الآخرة؛ لأنَّ غير المشركين ممَّن استحقَّ العذاب قد يدفع عنهم العذاب في الآخرة بعفو الله ورحمته.

معنى ﴿مِن﴾:

(مِن) زائدة للاستغراق، لتأكيد النَّفي وقطع الأعلاق

﴿مِن﴾ في قوله تعالى: ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ زائدة لاستغراق الجنس، ولتأكيد معنى عموم النَّفي؛ أي: ليس لهم أيُّ نصير مِن ملَكٍ أو إنسان[5].

كأنَّك جعلت ابتداء الغاية من أوَّل نصير إلى آخر نصير، ثم

(1) ابن فارس، المقاييس، ومحمد جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصّل: (ظلم).
(2) الراغب، المفردات: (ظلم).
(3) عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني: 9/ 1097.
(4) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 9/ 5027.
(5) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 9/ 5027.

نفيت ذلك كلَّه، فدلَّ ذلك على استغراق النَّفي للجنس، وتأكيد عموم النَّفي[1].

نكتة تنكير ﴿نَّصِيرٍ﴾:

في تنكير النَّصير تعميم أو تحقير

جاءت كلمة ﴿نَّصِيرٍ﴾ نكرة في قوله تعالى: ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ لإفادة التَّقليل والتَّحقير؛ أي: ليس لهم من مُعين ومُدافع ولو كان حقيرًا وضعيفًا وقليلًا، فليس لهم أدنى درجات النَّصير وأقلُّها، فليس لهم نصير في الدُّنيا ولا في الآخرة، أمّا في الدُّنيا فليس لهم مَن يقرِّر مذاهبهم، ويلزمه دفع ما يخالفها، وأمّا في الآخرة فليس لهم مَن يدفع العذاب عنهم[2].

وفي هذا تأييس لهم من أن يكون لهم نصير، جزاء وفاقًا كما أنَّهم عبدوا من دون الله ما لا يستحقُّ العبادة.

وقد يكون النَّفي مفيدًا للعموم والشُّمول، فقد نفى الله تعالى أن يكون لهم نصير أيُّ نصير؛ إذ لا يمكن أن يكون نصيرًا أمام قوَّة الله العليِّ العظيم[3].

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الآية والحجّة والسّلطان:

في الآيةِ ظهور، وفي الحُجَّةِ استقامة في القَصد، وفي السُّلطان قَهر

الآية مشتقة من التأيّي الذي هو التثبّت والإقامة على الشَّيء، وهي العلامة الظاهرة، يقال: ائتني بآية كذا، أي: بعلامة[4].

أمّا الحُجَّة فأصلُها القَصد؛ لأنَّها تُقصَد، أو بها يُقصَد الحقُّ المطلوب[5]، ويُضاف إلى هذا القصدِ الاستقامةُ فيه؛ يقال: حجّ يحجّ إذا استقام في قَصده[6]، والحُجّة: هي الدّلالة المبيِّنة للمحجّة، أي:

(1) ابن يعيش، شرح المفصل: 4/ 459، والسامرائي، معاني النحو: 3/ 75.
(2) الشّهاب الخفاجي، عناية القاضي وكفاية الرّاضي: 6/ 312.
(3) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 9/ 5027.
(4) الراغب، المفردات، والسمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (أيي).
(5) الأزهري، التهذيب، وابن فارس، المقاييس: (حجج).
(6) أبو الهلال العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 70.

القصد المستقيم الذي يقتضي صحّة أحد النقيضين[1]، والمعنى المحوريّ لجذر الحُجَّة: تجوُّف صلب أو متين يحمي ما في داخله[2]، كالحِجاج: وهو العَظم المستدير حولَ العَين[3]، وهو يحمي مُقلةَ العَين بكلِّ ما حولها، والحُجَّة من هذا المعنى المحوريّ؛ كأنَّها ظرف قويّ صلب للرأي يحفظه ويدعمه[4].

وأمّا السُّلطان فأصله القوَّة والقهر[5]، وهو منطق أو آية تقهر المنكِر أو المعارِض على التسليم؛ ولذا استُعمِل في المعجزة، قال الله ﷻ: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾﴾ [الذاريات: 38][6].

(1) الراغب، المفردات: (حجج).
(2) محمّد جبل، المعجم الاشتقاقي: (حجج).
(3) الخليل، العين، والأزهري، التهذيب، وابن فارس، المقاييس: (حجج).
(4) محمّد جبل، المعجم الاشتقاقي: (حجج).
(5) ابن فارس، المقاييس، والراغب، المفردات: (سلط).
(6) محمّد جبل، المعجم الاشتقاقي: (سلط).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الخامس والثلاثون،
سورة الحَجّ من الآية 51 إلى سورة المؤمنون الآية 63
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الخامس والثلاثون، سورة الحَجّ من الآية 51 إلى سورة المؤمنون الآية 63
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 35 ، 804 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-77-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 35 : المجلد الخامس والثلاثون، سورة الحَجّ من الآية 51 إلى سورة المؤمنون الآية 63.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-77-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-7984898 بتاريخ 2024/11/14م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»